خليفة بن خياط

أعـــلام المؤرخـــين

المؤرخ النسابة خليفة بن خياط

عرفه الحافظ محمد بن طاهر بن القيسراني بقوله: " الحافظ الإمام أبو عمرو العصفري المعروف بشباب.

محدث نسابة إخباري علامة صنف التاريخ والطبقات وسمع ابن عيينة ويزيد زُريع وغندرًا وطبقتهم وروي عنه البخاري وبقي بن مخلد وعبدان وأبو يعلى وطائفة.

قال ابن عدي: مستقيم الحديث صدوق من متيقظي الرواة.

وقال مطين: مات سنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى يقع لنا حديثه عالياً من مسند أبي يعلى الموصلي ".

ويقول عنه الحافظ السيوطي المتوفى (٩١١هـ): خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري أبو عمرو البصري الحافظ المعروف بشباب كان عالماً بالنسب والسير وأيام الناس روى عن ابن علية وبشر بن المفضل وأبي داود الطيالسي وابن عيينة وابن مهدي ويزيد بن زريع وروى عنه البخاري وأبو يعلى وبقي بن مخلد وحرب بن إسماعيل الكرماني والدارمي وعبد الله بن أحمد بن حنبل ".

وقال عنه الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي المتوفى (٣٥٤هـ): خليفة بن خياط أبو عمر العصفري من أهل البصرة يقال له: شباب يروي عن ابن عيينة والبصريين. حدثنا عنه الحسين بن سفيان وغيره وكان عالماً متقناً بأيام الناس وأنسابهم ".

ويقول عنه الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨هـ) في (ميزان الاعتدال): " خليفة بن خياط العصفري الحافظ شباب صاحب التاريخ روى عن جعفر بن سليمان ومعتمر بن سليمان

ويزيد بن زريع وخلق وروي عنه البخاري وأبو يعلى وعبدان وخلق ".

ولكن ضعفه بعض العلماء رغم ثناء جماهير علماء الأمصار عليه؟!

والحقيقة أنه اختلط على بعض المعاصرين الأمر وسبب ذلك أنهم يتعاملون مع ابن خياط من خلال منظور واحد فخليفة بن خياط محدث ومؤرخ في وقت واحد فمن نظر إلى قول بعض العلماء فيه من الناحية الحديثية ومن حيث الرواية بشروطها وضوابطها الصارمة يضعفونه.. ومن ينظر إليه كمؤرخ علامة نسابة فهو الإمام المقدم في هذا الفن ومن ثم يتساهلون في بعض مروياته التاريخية.. ورغم ذلك فإنه محدث ثقة وليس كما يتوهم البعض أنه ضعيف.

توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين.

منهج ابن خياط في كتابة التاريخ:

خليفة بن خياط من المؤرخين الكبار في التاريخ الإسلامي ومن أعظم رواد مدرسة البصرة. ألف كتابه الماتع (التاريخ) المشهور باسم (تاريخ خليفة بن خياط)، وله عدة كتب منها (طبقات القراء) (تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان). ولم يبق من هذه الكتب إلا كتابه(التاريخ) وكتاب طبقات القراء.

نستطيع أن نقسم المصادر التي استقى منها معلوماته إلى:

مصادره في تدوين السيرة النبوية:

معظم معلومات خليفة بن خياط أخذها عن محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) ونلاحظ وجود اسم وهب بن جرير الذي نقل عنه ابن سعد في طبقاته الكبرى، وكذا أبي معشر السندي. وقد بدأ حوليات

كتابه بالسنة الأولى من الهجرة النبوية وانتهى إلى وفاة الرسول ﷺ مع ذكر عماله وكتّابه ثم شرع في ذكر الخلفاء الراشدين وبقية دول الإسلام إلى أحداث ٢٣٢هـ.

أما في الأنساب: فقد أخذ عن هشام بن محمد الكلبي، أبي اليقظان سحيم النسابة، ونجد اسم أبي عبيدة معمر بن المثنى الذي أخذ عنه أخبار الخوارج. وقد أخذ عن يحيى بن محمد الكعبي ويزيد بن زريع وعبد الله بن المغيرة والوليد بن هشام وعبد الله بن قعنب وخلق كثير يبلغون أكثر من ١٠٣ من الإخباريين والرواة والمحدثين.

أما عن طريقته في السرد التاريخي: يهتم ابن خياط بالإسناد بصفته محدثًا ولا سيما فيما يتعلق بالجزء الخاص بالسيرة النبوية والأحداث الخلافية، واتبع طريقة الحوليات في التاريخ، تلكم الطريقة التي سار عليها الطبري وكل ومعظم من كتب في تاريخ الإسلام. ويهتم ابن خياط بواقعات وأحداث تاريخية لا نجدها في كتاب الطبري مثل اهتمامه بذكر أسماء شهداء الصحابة في الغزوات والسرايا. كما أنه أعطانا معلومات هامة عن أسماء العمال والولاة في عهود الخلفاء وقدم لنا قوائم بأسماء القضاة وكبار رجال الدولة وبيت المال والخراج ورجال الشرطة ومن ثم تعتبر دراسة هامة للنظام الإداري والمالي في الإسلام. وقد ابتدأ ابن خياط كتابه (التاريخ) بإعطائنا نبذة عن معنى التاريخ ومتى بدأ الناس يؤرخون حتى وصل إلى التاريخ الهجري ومتى وكيف حدث ذلك ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما ذكره في مقدمة كتابه.. وأهم طبعات تاريخ ابن خياط تلك التي بتحقيق د. أكرم ضيا العمري باسم (تاريخ خليفة بن خياط)..

وصفوة القول أن تاريخ خليفة بن خياط يعد من أهم كتب التاريخ

الإسلامي وذلك لأنه أقدم كتاب في تاريخ الإسلام مرتب على الحوليات ليس هذا فحسب بل لأن صاحبه محدث ثقة صدوق بشهادة علماء التعديل والتجريح.

كما أن شيخ المؤرخين الطبري أخذ عن ابن خياط كثيراً من المعلومات واحتذى طريقته في التأليف المرتب على الحوليات.

كما ثبت براءة ابن خياط من الرواية المنسوبة إليه عن طريق الكديمي الذي ضعفه الحافظ ابن عدي بل إن الحافظ ابن عدي هو أول من شكك في رواية الكديمي ودافع بقوة عن خليفة بن خياط ومن ثم سار على نفس الدرب في الدفاع عن ابن خياط علماء كثيرون كأبي الوليد الباجي والذهبي وابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهم من علماء الإسلام. يعتبر كتاب (تاريخ خليفة بن خياط) وخاصة فيما يتعلق بقسم السيرة النبوية مصدراً مكملاً لبقية مصادر السيرة النبوية حيث اهتم بأحداث لم يذكرها غيره. لقد ظلم خليفة بن خياط حيًّا وميتاً فقد ابتلي بالمعتزلة الذين أتعبوه كثيراً وناصبوه العداء في عصر الخليفة المأمون وحسده أقرانه لسعة علمه وثقة الناس به. وظلم ميتاً حيث لم يأخذ مكان الصدارة في التاريخ الإسلامي ولم يهتم به الباحثون الاهتمام اللائق كمحدث ومؤرخ من كبار مؤرخي الإسلام [1].

* * *

(١) من مقال للدكتور هاني السباعي، تاريخ خليفة بن خياط، وانظر عنه مقدمة كتابه " الطبقات "، التاريخ الكبير ٣ / ١٩١، الضعفاء: ١٢٢، الجرح والتعديل ٣ / ٣٧٨، ٣٧٩، الأنساب ٨ / ٦٧، وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٣، ٢٤٤، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٦، العبر ١ / ٤٣٢، ميزان الاعتدال ١ / ٦٦٥، تذهيب التهذيب ١ / ٢١١، غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٧٥، طبقات الحفاظ: ١٩٠، خلاصة تذهيب الكمال: ١٠٦، شذرات الذهب ٢ / ٩٤.